الفصل الخامس

فيما يقع بين الناس بغير حق

١ - ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

(البقرة: ٦١)

٢ - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

(آل عمران: ٢١)

٣ - ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾

(آل عمران: ١١٢)

٤ - ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ

ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (آل عمران: ١٨١)

٥ - ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء: ١٥٥)

٦ - ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥١)

٧ - ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٣)

٨ - ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ (الأعراف ١٤٦)

٩ - ﴿ . . . . قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ . . . . ﴾ (يوسف: ٥١)

١٠ - ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ..... ﴾ (الاسراء: ٣٣)

١١ - ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ..... ﴾ (الحج: ٤٠)

١٢ - ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ..... ﴾ (الفرقان: ٦٨)

١٣ - ﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ (القصص: ٣٩)

١٤ - ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ (غافر: ٧٥)

١٥ - ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ..... ﴾ (فصلت: ١٥)

١٦ - ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الشورى: ٤٢)

١٧ - ﴿ ..... فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ (الاحقاف: ٢٠)

ان حقوق الناس وحرماتهم لا تصان وتحفظ إلا بالحق والعدل. ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط. وأمر بعبادته - وهى حق - ليشفق الناس من خشيته فيكفوا شرهم. ويرجون رحمته فيتراحموا فيما بينهم - والراحمون يرحمهم الرحمن. وَطَلبَ منهم أن ينصروه - وهو غنى عن العالمين - ليكونوا جنود حق ﴿**وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز**﴾ ونصرة الله لا تكون إلا فى حق وفى سبيل إعلاء كلمة الحق. وفرض عليهم فرائض يؤدونها تقربا إليه. وهى لهم - طهارة وتزكية وتراحما وبرا. وألفة وتعاونا. ورحمة ومغفرة - ولا تزيد طاعتهم فى ملك الله شيئا ولا تنقص معصيتهم من ملك الله شيئا.

ومن تدبر أوامره ونواهيه وجدها جميعا لمصلحة الخلق. لاحقاق الحق واقامة العدل واشاعة البر والكف عن الافساد والشر. وقد جعل امتحانه لهم بأوامره ونواهيه فى مصلحتهم وجعل جزاءه على أعمالهم - وهو حق - تحريضا على فعل الخير رادعا عن ارتكاب الشر ﴿فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾

وأنزل الكتاب والميزان ليكون عونا لهم على معرفة الحق واقامة العدل ولم يكلهم إلى أنفسهم - فى بيان الحق وتحديد معالمه - حتى لا تكون أهواؤهم حَكَماً بينهم ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾. فالقول بأن هذا حق أو باطل ليس قولهم بل هو قول من خلقهم وهو غنى عنهم وهو رب العالمين. ولو ترك القول لهم - دون بيان وهدى منه - لأفسدوا وأضلوا ورأوا الحق لأنفسهم دون غيرهم وبغى بعضهم على بعض كما يحدث عند اتباعهم الباطل وإعراضهم عن الحق.

الْحَقُّ من الله وبه تصان الدماء والأموال والأعراض ويحفظ العقل والدين وتلك هى مقاصد الشريعة وما تؤدى إليه.

ومن استخف بدم غيره فقد أباح دم نفسه. ومن استحل مال أو عرض غيره لم يسلم من استباحة ماله وعرضه. ومن تناول المفسدات لعقله لم تعقل نفسه عن الإساءة لغيره. ومن هان عليه دينه هانت عليه حرمات الناس. ومن لم يف لله الذى خلقه ورزقه - فلن يكون وفيا للناس ولا لنفسه. وإن بدا للناس منه غير ذلك فلمصلحة طارئة لا تلبث أن

تزول فيزول ما بدا من وفاء ويظهر ما خفى من غدر وجفاء. وثبات الفضائل وشمولها لا يستمد إلا من عصمة الإنسان بدينه وصدق خشيته من ربه. فتلك هى الرقابة التى لا تبارح الإنسان فى سره وعلنه ولا تنفك عنه فى عسر أو يسر أو شدة أو رخاء ولا يكيل الانسان معها بمكيالين أو يزن بميزانين وانما هو ميزان واحد مع العدو والصديق والقريب والبعيد:

﴿ .... كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ .... ﴾ (النساء: ١٣٥)

﴿ .... وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ..... ﴾ (المائدة: ٨)

ولنتدبر ما يقع بين الناس بغير حق لنرى لمصلحة من حكم بأنه ليس بحق. ولو كان الحكم للناس ـ وقد فعلوا ما ليس بحق ـ لقالوا إنه حق هروبا من تبعة القصاص والمؤاخذة.

ولا يكون الحكم مجردا عن هوى إلا من الله رب العالمين.
ولا عصمة لاحد من هوى إلا من عَصَمَهُ ربُّ العالمين.
فالبيان بيانه والقول قوله والحق شرعته للناس اجمعين.

﴿ ... فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ... ﴾

(المائدة: ٤٨)

إنه الحق تخضع له أهواء الناس ولا يخضع لهواهم وفى ذلك صلاحهم وفلاحهم ومصلحتهم أجمعين. وما يقع بين الناس بغير حق مدمر لدنياهم وأخراهم ومفض إلى عذاب أليم:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٢١، ٢٢)

من أبشع وأكبر ما يقع بين الناس بغير حق قتل النبيين فإن فيه من الجرأة على الفساد والإفساد والعداوة لله ما فيه.

وقتل النبيين لا يكون إلا بغير حق. ومرده إلى جحود الحق وعدم الرضا به ولا ينشأ إلا من الكبر والطغيان وحقيقته ليست فى مظهر الإنسان بل فى مخبره. كما جاء فى صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس.

والذين يقتلون النبيين ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس لا يبالون بعد ذلك بحرمة أحد ولا يتورعون عن إيقاد نار حرب يبدو لهم فيها سراب أو يتوهمون من ورائها تحقيق كيد. ولا تشقى الانسانية بشىء كما تشقى بهؤلاء. فلا كفر أعظم من كفرهم ولا طغيان أشد من طغيانهم. ولذلك كان جزاؤهم من ربهم جزاء وفاقا فى دنياهم وأخراهم. فالكبر الذى دَفَعَهُمْ إلى قتل دعاة الحق فضلا عن رده يفضى بهم إلى الذل والمهانة فى الدنياوالآخرة كما قال الله عز وجل:

﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ

﴿ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾
(البقرة: ٦١)

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٢٢)

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ
ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾
(آل عمران: ١١٢)

ومعلوم أن ذلك قد وقع فى بنى اسرائيل وهم يقتلون النبيين ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ـ وقد أصابهم من الهوان والعذاب ما أصابهم.

ولكن ما فائدة الإخبار به لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بل للناس أجمعين والنبوة قد ختمت ؟ وما فعله بنو اسرائيل مع أنبيائهم من قبل قد حاولوه مع نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم ولكن الله عصمه منهم ومن غيرهم ؟

إن الإخبار به فيه تحذير للناس أجمعين أن تمتد أيديهم بسوء إلى دعاة حق وعدل فى أى زمان ومكان والقرآن يتلى على الناس أجمعين. فليس حديث القرآن عما وقع من بنى اسرائيل مع أنبيائهم حديثا عن تاريخ مضى وانقضى وإنما هى العبرة يسوقها للناس والتبصرة يقدمها لهم فى كتاب يرشد ويهدى للتى هى أقوم.

فالذلة التى لحقت بنى اسرائيل بسبب اعتدائهم ومعاصيهم يمكن أن تلحق بغيرهم إن هم أساءوا وعصوا. ولا محاباة فى سنن الله ولا مجاملة لأحد ﴿**ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءًا يجز به**﴾ فوصف حال السابقين فيه تحذير للاحقين. ومن

كان مثلهم لحق بهم ، ووصف بما وصفوا به وأخذ بما أخذوا به ﴿ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ .

يقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : ﴿**إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس** . . ﴾ الآية يقول : «هذا ذم من الله تعالى لأهل الكتاب بما ارتكبوه من المآثم والمحارم فى تكذيبهم بآيات الله قديما وحديثا التى بلغتهم اياها الرسل استكبارا عليهم وعنادا لهم وتعاظما على الحق واستنكافا عن اتباعه . ومع هذا قتلوا من قتلوا من النبيين حين بلغوهم عن الله شرعه بغير سبب ولا جريمة منهم إليهم إلا لكونهم دعوهم إلى الحق ﴿**ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس**﴾ وهذا هو غاية الكبر كما قال النبى صلى الله عليه وسلم «الكبر بطر الحق وغمط الناس» . وقال ابن ابى حاتم : حدثنا أبو الزبير الحسن بن علي بن مسلم النيسابورى نزيل مكة حدثنى أبو حفص يعنى ابن ثابت بن زُرَارة الانصارى حدثنا محمد بن حمزة حدثنا أبوالحسن مولى لِبَنِى أسد عن مكحول عن أبى قبيصة بن ذئب الخزاعى عن أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة ؟ قال : رجل قتل نبيا أو من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم﴾ الآية . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فى ساعة واحدة . فقام مائة وسبعون رجلا من بنى اسرائيل فَأَمَرُوا مَنْ قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من آخر النهار من ذلك اليوم . فهم الذين ذكر الله عز وجل» وهكذا رواه ابن جرير عن ابى عبيد الوصابى محمد بن حفص عن ابن حمير عن ابى الحسن مولى بنى أسد عن محكول به ، وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : «قتلت بنو اسرائيل ثلاثمائة نبى من أول النهار واقاموا سوق بقلهم من آخره» رواه أبوحاتم ولهذا لما ان تكبروا عن الحق واستكبروا على الخلق قابلهم الله على ذلك بالذلة والصغار فى الدنيا والعذاب المهين فى الآخرة فقال الله تعالى : ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ . أى موجع مهين ﴿أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخر وما لهم من ناصرين﴾ .

وقال الزمخشرى فيما قاله فى تفسير هذه الآية «وهم أهل الكتاب قتل أولوهم الأنبياء، وقتلوا أتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لولا عصمة الله.

وقال الأستاذ سيد قطب عند تفسير قوله تعالى: ﴿**وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق**﴾. قال: «ولم يشهد تاريخ أمة ما شهده تاريخ إسرائيل من قسوة وجحود واعتداء وتنكر للهداة فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناشير عددا من أنبيائهم ـ وهى أشنع فعلة تصدر من أمة مع دعاة الحق المخلصين ـ وقد كفروا أشنع الكفر، واعتدوا أشنع الاعتداء، وعصوا أبشع المعصية وكان لهم فى كل ميدان من هذه الميادين أفاعيل ليست مثلها أفاعيل. ومع هذا كله فقد كانت لهم دعاوى عريضة عجيبة. كانوا دائما يدعون أنهم هم وحدهم المهتدون. وهم وحدهم شعب الله المختار. وهم وحدهم الذين ينالون ثواب الله، وأن فضل الله لهم وحدهم دون شريك».

وأقول: ان الآيات وهى تخبر عن هؤلاء الذين وقع فيهم ما ذكر تحذر من فعلهم وتبصر أهل الايمان حتى لا يقع فيهم ما وقع فى الأمم من قبلهم من جحود للحق وقتل للذين يأمرون بالقسط من الناس أو اعتداء عليهم فان ذلك يجلب الفساد ويسوق العذاب.

فان الأمة التى فرض عليها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أُولى واجباتها حماية الداعين إلى الحق الآمرين بالقسط. وإذا فرطت فيهم أو رضيت بإساءتهم أو سكتت على أذاهم فقد رضيت لنفسها أن تساس بالباطل وأن تقاد إلى الضلال وأن تستخف من كل طاغية وأن تكون عونا له وواجبها أن تقدم النصيحة فى رشد وإن تنكر ما ليس بحق وان لم تفعل أصابها ما أصاب الأمم من قبلها.

روى أبو داود والترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل

فيقول: ياهذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض. ثم قال: **﴿لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون. ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم﴾** إلى قوله **﴿فاسقون﴾**. ثم قال: كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم» هذا لفظ أبى داود.

ولفظ الترمذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما وقعت بنو اسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم فى مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال: «لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا». أى تعطفوهم.

وروى الترمذى عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم».

وروى النسائى باسناد صحيح عن ابى عبدالله طارق بن شهاب البجلى الأحمسى رضى الله عنه أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم وقد وضع رجله فى الغرز. «أى الجهاد أفضل؟ قال: كلمة حق عند سلطان جائر».

ولا تجد مبررا لقتل الانبياء عند هؤلاء إلا جحود الحق ونكرانه. فإن الأنبياء لا يسيئون أحدا ولا ينافسونه على زينة حياة أو متاع ولا يسألون أجرا على دعوتهم وتبليغ ما أمروا به. فقتلهم حتى عند قاتليهم بغير حق. لان القاتل أى قاتل قد يذكر سببا لإقدامه على القتل. وقتل الأنبياء ينتفى معه كل سبب قد يزعمه القاتل سوى أنهم دعاة إلى الحق. فمن استباح قتلهم أو قتل الذين يأمرون بالقسط من الناس لا يريد للحق أن يكون

ويتوهم أن فى قتل الداعين إليه قضاء عليه . ثم لا يلبث أن يرى بعينه ثبات الحق الذى قاتله وذهاب الباطل الذى اتبعه ولذا نرى جميع الآيات التى تحدثت عن قتل الأنبياء قد قرنت هذا الفعل بالكفر والعقاب عليه . . ليعلم أن هذا الفعل لا يقدم عليه إلا موغل فى الكفر مد من فى تناول الباطل غارق فى الضلال والفساد .

وما رأينا أحدا عل مر التاريخ أقدم على قتل الآمِرين بالقسط إلا وفيه جحود للحق أو تبرم به أو خروج عليه . فان الراغب فى الحق تطيب نفسه بمن يرده إليه أو يدله عليه أو يذكره به ولا يجد فى نفسه حرجا بل يرى فى ذلك كمالا وشرفا .

ومن ضاق صدره بالحق ـ الذى يعلم أنه حق ـ قد استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر ربه وشغله بدنياه عن آخرته .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ (محمد : ٢٥)

ومن علل النفوس أمراض قاتلة تفتك بأصحابها وهم يتوهمون أنهم قد قتلوا غيرهم مع أنهم قد قتلوا أنفسهم . وأشد الناس شقاء وخسرانا من طوعت له نفسه قتل من جاء ينقذه ـ بنعمة ربه ـ ويبر به ويرحمه . ومن رضى بفعله فى أى زمن شقى معه وخسر . لأن إنكار المنكر أصل فى إحقاق الحق وإقرار المعروف . . روى أبو داود عن عرس ابن عميرة الكندى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا عملت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها . ومن غاب عنها فرضيها كمن شهدها» .

ولذا خوطب بنوا إسرائيل فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم بما فعل أسلافهم من قبل لإقدامهم على مثل فعلهم ووقوعهم فيما وقعوا فيه من كفر وإصرار على القتل ونزل القرآن يوجه الخطاب إليهم بما فعل أسلافهم وكأنهم هم الفاعلون :

﴿ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَا

﴿ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٩١)

وبميزان الحق ترى تحريم جميع المحرمات إبطالا لباطل. ومن وقع فى الباطل - خاصم الحق وأخذ به. ولا ينقذه من ظلمات الباطل إلا خروج منه إلى نور الحق.

﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (الانعام: ١٥١)

أمور خمسة ذكرت فى هذه الآية كلها من الباطل الذى يجب أن يجتنب ومن المحرم الذى وصى الله بتركه والبعد عنه:

فالشرك بالله أصل كل باطل وشر يقع فى الأرض وصَّى الله بتحريمه احقاقا للحق وهو عبادة الله وحده وعدم الإشراك به.

وعقوق الوالدين باطل حرمه الله احقاقا للحق وهو الإحسان لهم والبر بهم بكف الشر عنهم وتقديم الخير لهم.

وقتل الأولاد باطل يجب أن يجتنب حرمه الله احقاقا لحق وهو رعاية حياتهم وحسن تربيتهم وشكر من خلقهم ورزقهم.

والفواحش ما ظهر منها وما بطن باطل نهى الله عن القرب منه فضلا عن مزاولته والدخول فيه. إحقاقا لحق وهو طهارة المجتمع مما يفسده ويدمر حياته ويصرفه عن أداء ما خلق له.

وقتل النفس بغير الحق باطل نهى الله عنه إحقاقا لحق. وهو صيانة الدماء والأرواح أن تزهق بغير حق. وما أمر الله به من قتل النفس بالحق إذا تدبرته رأيته درأ للفساد وابطالا للباطل وإبقاء للحياة. ﴿**ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق**﴾. والمنهى عنه القتل بغير الحق لا القتل بالحق. يقول ابن كثير: «وهذا مما نص تبارك وتعالى عن النهى عنه تأكيدا وإلا فهو داخل فى النهى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

وقد جاء فى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إلـه إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس وبالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة». وفى لفظ مسلم «والذى لا إلـه غيره لا يحل دم رجل مسلم وذكره.» وروى أبو داود والنسائى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا باحدى ثلاث خصال زان محصن يرجم، ورجل قَتَلَ متعمدا فيقتل، ورجل يخرج من الإسلام وحارب الله ورسوله فيقتل أو يصلب أو ينفى من الأرض. وهذا لفظ النسائى.

وعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه. أنه قال: وهو محصور سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا باحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه أو قتل نفسا بغير نفس. فوالله ما زنيت فى جاهلية ولا إسلام. ولا تمنيت أن لى بدينى بدلا منه بعد أن هدانى الله. ولا قتلت نفسا بغير نفس» رواه احمد والترمذى والنسائى وابن ماجه وقال الترمذى هذا حديث حسن.

وقد جاء النهى والزجر والوعيد فى قتل المعاهد وهو المستأمن من أهل الحرب فروى البخارى عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم مرفوعاً «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة سبعين خريفا» رواه ابن ماجه

والترمذى وقال حسن صحيح . وقوله : ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾ . اى هذا مما وصاكم به لعلكم تعقلون عن الله أمره ونهيه .

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الاعراف : ٣٣)

والفواحش : ما فحش وشنع وأصله من القبح فى المنظر. ثم استعمل فيما ساء من الخُلُق . وكذلك استعمل فيما شنع وقبح فى النفوس .

والقبح والحسن فى المعانى انما يتلقى من جهة الشرع . والفاحش كذلك فقوله هنا «الفواحش» إنما هى اشارة إلى ما نص الشرع على تحريمه فى مواضع أخر. فكل ما حرمه الشرع فهو فاحش وإن كان العقل لا ينكره كلباس الحرير والذهب للرجال ونحوه . وقوله : ﴿ما ظهر منها وما بطن﴾ . يجمع النوع كله لانه تقسيم لا يخرج عنه شىء . وهو لفظ عام فى جميع الفواحش .

«والإثم» أيضا ـ لفظه عام لجميع الأفعال والأقوال التى يتعلق بمرتكبها إثم . هذا قول الجمهور. وقال بعض الناس هى الخمر. وقد رده ابن عطية بعد أن ذكره لأن هذه السورة مكية ولم تُعن الشريعة بِتَحْرِيمِ الخمر إلا بالمدينة[1] .

«والبغى» التعدى وتجاوز الحد كان الإنسان مبتديا بذلك أو منتصرا فاذا جاوز الحد فى الانتصار فهو باغ» .

«والبغى بغير الحق» هل تقييد البغى بهذا القيد يفيد أن «البغى» يمكن أن يكون بالحق أو أن التقييد لتأكيد البيان وأن كل بغى ليس بحق ؟ .

(١) يراجع المحرر الوجيز لابن عطية .

يرى ابن عطية أن قوله «بغير الحق» زيادة بيان وليس يتصور بغى بحق لأنه ما كان بحق فلا يسمى بغيا.

ولكن الراغب الاصفهانى فى المفردات يقول «والبغى على حزبين: أحدهما محمود وهو تجاوز العدل إلى الاحسان والفرض إلى التطوع. والثانى مذموم وهو تجاوز الحق إلى الباطل أو تجاوزه إلى الشبه كما قال عليه الصلاة والسلام «الحق بين والباطل بين وبين ذلك أمور مشتبهات، ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه» ولان البغى قد يكون محمودا ومذموما قال: ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق﴾. (الشورى: ٤٢) فخص العقوبة ببغيه بغير الحق».

وأقول: إن ابن عطية يرى البغى كله مذموما وأنه ليس بحق ولا يسمى ما ذكره الأصفهانى بغيا ما دام فى حدود الشرع. ولكن الاصفهانى: يرى أن منه ما يكون ممدوحا ومنه ما يكون مذموما. فما كان بالحق فهو الممدوح وما كان بغير الحق فهو المذموم.

فالخلاف بينهما فى التسمية وليس فى الحكم أو المضمون. وهو ناشىء من النظر فى القيد «بغير الحق» فابن عطية يراه زيادة فى البيان. والاصفهانى يراه مخرجا لما كان «بِالْحَقّ».

وأرى أن فهم ابن عطية للقيد «بغير الحق» أدق. واختياره بأن ما كان بحق لا يُسمّى «بغيا» أصوب لأن تجاوز العدل إلى الإحسان ـ الذى ذكره الأصفهانى ـ والفرض إلى التطوع ليس فيه تعد أو مجاوزة لما حدده الشرع فلا يسمى «بغيا» والله أعلم.

والبغى «بغير الحق» خروج من حدود الحق إلى الباطل ومن حدود العدل إلى الظلم ومن التواضع إلى الكبر بل من التصديق والايمان إلى الجحود والكفر. ومن استقامة النفس إلى الميل. خروج من اتباع الحق إلى اتباع الهوى. وكل ذلك وغيره تقع آثاره ونتائجه فى حياة الناس وتراه قطعاً لأرحامهم وتفريقا لجمعهم وإساءة لروابطهم وإشاعة للشر والفساد فيما بينهم. وإذا ساد البغى فى أمة هان أمر الإنسان فيها فضعف شأنها

وذهب ريحها وتهيأت لبلاءٍ بل لدمارٍ وفناء.

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ
يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ
۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١
فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ
۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ (الفجر: ٦-١٤)

إن ربك لبالمرصاد لكل باغية وطاغية ومستبد سادرٍ في غيه مُصِرٍّ على بغيه. مطمئن بدنياه معرض عن آخرته.

﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا
رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ۗ
أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ
۝٤٤ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ
الْأَمْثَالَ ۝٤٥ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ
مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ
۝٤٦ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو انْتِقَامٍ ﴾ (ابراهيم: ٤٤-٤٧)

ان ما يقع بين الناس بغير حق مصدره فساد النفس وميلها عن القصد. والبغي تعد وتجاوز للحد وهو كبر وظلم يلحق بالناس أذى وبصاحبه سوء عاقبة ومصير. والإصرار

عليه مدمر لصاحبه ووباؤه ينتقل إلى غيره. وللبغاة مقلدون من سفلة الناس وطلاب المنافع. ولكل باغية بطانة سوء تعين على الفساد وتطلب القرب منه بما يحب من هضم الحقوق وإذلال العباد. والطاغية يستخف قومه ويطوعهم لمآربه وطغيانه. وأهل الفسق مطية كل باغ. وهم عبيد لمن يستبد أو يدفع الثمن. ومصيرهم يرتبط بمصيره. فاذا خاف من بطش أخافهم فبالغوا فى طاعتهم له وخافوا على أنفسهم من تبدل حاله وذهاب ريحه. وهم أول من يظهر البراءة منه والسخط عليه. وسنة الله فى خلقه أن يأخذهم مع من ركنوا إليه وأعانوه على بغى وفساد.

﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾
فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾
فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾

(الزخرف: ٥٤ ـ ٥٦)

ومن ركن إلى الظالمين احترق بنارهم وأخذ بطغيانهم. ولا سبيل للبعد عنهم والفرار منهم إلا فى الإصرار على الصدق والاستقامة والثبات على الحق كما أمر الله:

﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ﴾

(هود: ١١٢ ـ ١١٣)

ومن أشد ما يعاقب به أصحاب البغى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق أن يصرفوا عن الهداية وعن آيات الله التى كذبوا بها وغفلوا عنها. وهو جزاء وفاق يقابل دمارهم بدمار وسعيهم للتكبر بإذلال وخذلان وايثارهم البغى وطلب العلو فى الأرض بسقوط وهوان.

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

(الاعراف: ١٤٦ - ١٤٧)

والحق فى جميع الأحوال ظاهر لا محالة. وصاحبه ينعم بحسن عاقبة ﴿**ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله**﴾. ومع تبدل الأحوال نرى أصحاب الكيد قد أُخذوا وأصحاب الحق قد نصروا. ولصق بكل عمله وبقى له ذكره ولقد اتهم يوسف عليه السلام بغير حق وأُدخل السجن وهو الكريم الذى أبى أن يسىء إلى من أحسن إليه. فأحب أن يسجن ولا يَظْلِم.

وكم فى دنيا الناس من برآء اقتيدوا إلى السجون بتهم باطلة وما لهم من ذنب سوى أنهم لم يُسْتَخَفُّوا أو يستجيبوا لهوى ظالم أو مستبد. ولا غرابة أن يقع ذلك فى دنيا الناس أو يكون. وعزاء أولئك جميعا أنه قد وقع مع الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم.

ولكن هل يمكن أن يكون الحق أسير سجن أو قيد أو يخضع لهوى ظالم أو مستبد ها نحن نرى امرأة العزيز التى راودت واتهمت تقول ﴿**الآن حصحص الحق**﴾. وتعترف أنه عليه السلام لم يراودها عن شىء ولكن هى التى راودته ﴿**أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين**﴾ وقد يكون من يسوق التهم إلى الناس وهم برآء على غير مستوى امرأة العزيز فى ندمها واعترافها بل فيهم من يكابر ويعاند وتأخذه العزة بالاثم مع ظهور دلائل الحق.

قد يكون فيهم من يصر على إخفاء الحقيقة وإبداء ما يناقضها وينسب لنفسه ما ليس لها ويرم بريئا بما ليس فيه .

ولا شيء فى دنيا الناس أصعب على النفس من اتهام برىء أو عقاب محق . ومن الناس من يُلقى بخطيئته على غيره ويرمى باثمه من سواه :

﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (النساء : ١١٢)

نعم قد يكون فى الناس من يفعل ذلك ولكن هل يتوقف ظهور الحق على اعتراف أولئك . أم أن دلائله أقوى من كل كيد ومكر ؟ .

إن مثل هؤلاء الذين يتصورون أنهم يستطيعون إخفاء الحقيقة وابعاد الحق كمثل من ألقى على وجهه غطاء أسود كثيفا وقال للناس لقد أخفيت عنكم الشمس فلن تروها بعد اليوم . والناس من حوله يعجبون له وهو يطالبهم أن يلقوا على وجوههم مثل غطائه وهو يقول ﴿**ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد**﴾ . ثم يقودهم إلى كهف مظلم ويوهمهم أنه يمضى بهم فى سبيل الرشاد . وما درى المخبول أن شمس الحقيقة لا تغيب . وأن غطاءه لا يلبث أن يكشف وغفلته لا تلبث أن تزول وأن الناس من حوله قد خدعوه حين صَدَّقُوه ولم يَصْدُقُوه . وأن الحق الذى تصور غيابه قد لقيه أمامه فوفاه حسابه . وان الحقيقة التى بالغ فى اخفائها ستنطق بها أيد وأرجل ويختم على أفواه طالما نطقت ببهتان وزور: ﴿**اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**﴾ . (يس : ٦٥) .

وعندما يحشر أعداء الله إلى النار ويحبس أولهم على آخرهم يفجؤهم ما تنطق به جلودهم - وما تنطق إلا بالحق . الذى أنكروه وبالغوا فى إنكاره ويشهد سمعهم وأبصارهم وما تشهد الا بالحق الذى أخفوا أبصارهم عنه وصموا آذانهم .

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا

مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (فصلت: ١٩ ـ ٢١)

﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين﴾ قالته امرأة العزيز ـ وكانت قد ألحقت بيوسف عليه السلام ما ليس بحق ـ قالت الآن حصحص الحق ـ أى ظهر ولم تقل قد أظهرته. لان دلائله وأماراته لا تتوقف فى كثير على اعتراف أو إقرار. بل قد يصر منكر على إنكاره فتأتى دلائل الحق على إصراره فلا يلبث أن ينطق بما أنكر ويعترف بما أخفى فيزهق باطله ويظهر الحق الذى لا يمكن أن تخفيه حيلة محتال أو تدبير خائن ولو أيقن الناس بذلك لما أساءوا لغيرهم أو جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق. فالحق لا يدحض ولا يزهق لأنه أصيل ينفع الناس فيمكث فى الأرض. وانما الذى يذهب ويبطل ويهلك هو الباطل لأنه لصيق كذوب لا ينفع الناس فلا يمكث ولا يبقى.

وما كان من عمل الناس بالحق بقى لهم وما كان من عملهم بالباطل ذهب جفاء أو تطاير هباء. وما من شأن من شئون الخلق إلا وفيه بيان من الحق. وفطرة الخلق مبنية على الحق فليس الحق بعيدا عنهم أو دخيلا على فطرتهم. فاذا أمروا باتباع حق أو نهوا عن اجتناب ما ليس بحق لا يقع ذلك من نفوسهم موقع الغرابة أو النفور بل تستيقن به النفوس وإن جحد أصحابها «ظُلْماً وعُلُوّاً».

﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾.

نهى عن قتل النفس تستيقن بحرمته فطرة الخلق. ويجحده من ظلم أو طلب العلو والفساد فى الأرض. وهذا النهى عن القتل مقيد بأن لا يكون إلا بالحق. فما كان بالحق وجب أن يكون. ومن الحق أن يقتل من قتل قصاصا منه بالعدل وصيانة لحياة الناس وابقاء لها ﴿ولكم فى القصاص حياة﴾. ومن اعتدى على أعراض الناس بعد إحصان ولم

تكن له شبهة يدرأ بها الحد وجب أن يقتل إقامة للحد وحفاظا على العرض. ومن فارق الجماعة فارتد إلى الباطل بعد أن هدى للحق وجب أن يقتل حفاظا للعهد وصيانة للجمع ووفاء للحق. وهذا ما جاءت به السنة بيانا للكتاب وتحديدا لما استثنى بقوله «إلا بالحق». فقد ثبت فى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا باحدى ثلاث: النفس بالنفس، والزانى المحصن، والتارك لدينه المفارق للجماعة».

ودماء الخلق جميعا مصونة لا تهدر إلا بالحق. أى بأمر منه وحده ـ جل شأنه ـ لانه هو الذى خلق كل شىء ونزل الكتاب تبيانا لكل شىء فمن استباح دماء الناس بهواه عوقب من قبل الله. وما القتال الذى شرع بأمره وفى سبيله إلا حِمىً للناس من الظلم والفساد وحفظا لحقوقهم من التعدى والاغتصاب. ولا يشرع قتال بغير أمره ولا يؤذن به إلا عند وجود سببه وكل ما كان كذلك كان دفعا للفساد وحفاظا على حرمات ومقدسات العباد.

﴿ ..... وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥١)

﴿ ..... وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (الحج: ٤٠، ٤١)

وفى سبيل القيام بالمعروف والنهى عن المنكر وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يكون النصر والتمكين ويشرع القتال فى سبيل الله حفاظا على الحق الذى تصان به النفوس وتحترم الحقوق وتبقى الضوابط والحدود ولولاه لفسدت الأرض ولولاه لما أمن عابد أو متعبد فى صومعة أو مسجد. ومن أخرجوا من ديارهم بغير حق أليس من حقهم أن يدفعوا عن أنفسهم ما ليس بحق ؟ ألا يكون الاذن لهم بالقتال درأ لظلم وفساد ؟

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ..... ﴾ (الحج : ٣٩ ، ٤٠)

ما ذنب أولئك الذين اخرجوا من ديارهم وما جريمتهم التى دعت إلى قتالهم وإخراجهم ؟ لا شىء والله أبدا إلا أنهم يقولون ربنا الله . فليشرع القتال وليؤذن به من القوى العزيز القادر على نصر المظلومين والتمكين للمستضعفين وفى ذلك ما فيه من ردع للظلم ودفع للشر وإحقاق للحق وإبطال للباطل ورحمة للعالمين :

﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾

(الانفال : ٨)

والفساد فى الأرض والسعى فيها بالباطل لا يردعه الا قتال بالحق والظلم بين الناس لا يرده إلا قوة ذات بأس شديد . قوة مؤمنة عادلة يمكن الله لها فيكون منهجها فى الحياة :

﴿ ... أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾

(الكهف : ٨٧ ، ٨٨)

وليست قوة غاشمة تنسى الغد وتبغى العلو والفساد فى الأرض فتلك يسلط الله عليها من هو شر منها أو يأخذها أخذ عزيز مقتدر.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (هود: ١٠٢)

هكذا يؤخذ الباطل ويدمر أهله وكثيرا ما يخربون بيوتهم بأيديهم أو يهزمون بأيدى المؤمنين. ولو كانوا قلة ـ اذا كانوا أوفياء للحق صادقين فى نصرته مخلصين لله فى تأييده والعمل به. تنصر القلة من المؤمنين لإحقاق الحق وابطال الباطل. والذين يتدبرون سنن الله فى خلقه يدركون أن العاقبة لا تكون إلا للحق.

وإن بدا أن أصحاب الحق قد غلبوا فى لقاء فإنهم من بعد غلبهم سيغلبون ومن تدبر العواقب أيقن بهذه النتيجة نصر الحق وأهله ومحق الباطل وحزبه ومن غابت عنه هذه الحقيقة فى دنياه أو لم يبصرها فى عمره المحدود لم تغب عنه فى أخراه يوم يجد المرء ما قدمت يداه. والتأكيد على هذه الحقيقة فى حديث القرآن يراد به أن يُعْلَمَ الحق وأن يُعْمَلَ به وألا يُستخف الناس إلى أمر سواه. وعمر الانسان المحدود ليس هو البداية والنهاية للكلمة الخاتمة والأخذة الفاصلة ـ والموقن بالحق وبعاقبته يستمسك به ولو كان وحده ولو ملأت أحزاب الباطل بقاع الأرض من حوله وانقضى أجله قبل أن يرى هزيمة الاحزاب ووقوع العقاب:

﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾

(الزخرف: ٤١ ـ ٤٤)

هكذا كان شأن اولئك الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ـ كان لهم من الثقة فى وعد الله ما حملهم على الصدق والصبر فى البأساء والضراء ولم يتعجلوا أمرا يعلمون أنه ليس بأيديهم وإنما هو بيد الله . وكان يقينهم بالعواقب عاملا فى إصلاح الرغائب فلا يرغب فيما تسوء عاقبته . ولا يحمله استبطاء أمر على استعجاله وهو يعلم أن كل شىء بقضاء الله وقدره . وكل ما يحرص عليه أن يستمسك بالحق وأن يعمل به وأن يسأل الله الثبات عليه وأن يكون حيث يرضى الله ويحب وأن ينصره فى نفسه بتغليب أمره على هواه ﴿ **قالوا ربنا الله** ﴾ . وصدقوا ما عاهدوا الله عليه فلم يركنوا لظالم أو يقعدوا عن نصرة حق . وكانت هجرتهم هجرة راشد يعرف قصده ويعبد ربه ولا ينقض عَهْدَهُ . هجرة أَبِيٍّ ينشد معالى الأمور ويطلب نصرة الحق ويأبى أن يكون قعيد دارٍ أو أسير مالٍ أو ركين باطل ـ هجرة مؤمنين صادقين فى غايتهم بارين فى وسائلهم مخلصين فى مرضاة ربهم ﴿ **يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله** ﴾ هجرة حق فى نصرة حق انتصروا بها على من أخرجوهم من ديارهم بغير حق . وكان نصرهم فى عفوهم ودعوة من ظلموهم إلى الحق فكانوا دعاة إلى الله فى صبرهم وهجرتهم دعاة إليه فى جهادهم دعاة إليه فى عفوهم عمن ظلموهم وأخرجوهم . دعاة إليه فى سلمهم وحربهم فى أموالهم وأنفسهم . فدخل الناس فى دين الله أفواجا مؤمنين بالحق الذى آمنوا به داعين إليه متآخين على نصرته وتأييده . واثقين أن العاقبة له وأن الفوز والفلاح لمن اتبعه واستمسك به . فكانوا بحق عباد الرحمن الذين وصفهم الله فى كتابه وكان من صفاتهم ﴿**والذين لا يدعون مع الله إلـها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق**﴾ . فلزموا الحق فى الرضا والغضب والسلم والحرب . مع العدو والصديق والقريب والبعيد . فلم يكن قتلهم للنفس قتل مستبيح لها بغير حق . وانما كان قتالا يدعون فيه إلى الحق وَيَعْفُون عمن قاتلهم أو قَتَل منهم عند اعلانه لقبول الحق ولا يقف الأمر عند مجرد العفو بل يَحنون واحدا منهم له ما لهم وعليه ما عليهم ينسون اساءته ويذكرون أخوته ويبشرونه بمغفرة الله له وعفوه عنه . وتلك وربِّى مكرمة لا تكون الا ممن اتبعوا الحق من ربهم فطيب نفوسهم وأصلح بالهم ﴿ **كذلك يضرب الله للناس أمثالهم** ﴾ .

وشتان ما بين من يخضع للحق ويتواضع له ومن يستكبر فى الأرض بغير الحق شتان

ما بينهما فى السلوك والاخلاق والمقدمات والنتائج والدنيا والآخرة.

والقرآن الكريم يذكر لنا أصنافا من اولئك الذين يستكبرون فى الأرض بغير الحق ويرينا النتائج والعواقب ليحذر من جاء بعدهم أن يسلك سبيلهم أو يكون مثلهم يذكر لنا فرعون وجنوده وما كان عليه وما صاروا إليه.

﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾ (القصص: ٣٩-٤٢)

ويذكر لنا قوم عاد وما كانوا عليه وما صاروا إليه:

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾

(فصلت: ١٥، ١٦)

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (غافر: ٧٠ ـ ٧٦)

والتكذيب بالكتاب تكذيب بالحق. والذين كذبوا بالحق يفرحون بدنياهم ويطمئنون بها ويغفلون عن آخرتهم. يفرحون فى الأرض بغير الحق ويمرحون مع أن الفرح يجب أن يكون بالحق لا بالباطل وبما يبقى لا بما يفنى وبما تحسن عاقبته لا بما تسوء.

﴿ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ۖ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (يونس: ٥٨)

ولكن فرح اولئك يكون فى اللذة العاجلة لا فى سعى الآخرة. فرحهم وانشراح صدورهم فى متعة أجسادهم وتحقيق ملاذهم وشهواتهم. وذلك مفض إلى الكبر والبطر مبعد عن الاستقامة والاعتدال. ومن ازداد فرحه ازداد مرحه ـ اذ المرح شدة الفرح والتوسع فيه ـ ومشى فى الأرض مرحا يظهر الكبر وهو صغير ويحقر الناس وهو حقير وينكر حقوقهم مختالا فخورا وهو لن يخرق الارض ولن يبلغ الجبال طولا وما يكون من الفرح بالحق لا ترى منه إلا التواضع والبر بالناس والإحسان اليهم والرحمة بهم والاعتراف

بحقوقهم . وهؤلاء فرحهم وسرورهم بحسناتهم وتوفيق الله لهم وانشراح صدورهم بنصر الحق وخذلان الباطل فرحهم فى أداء الواجب والقيام بالقسط والعمل بالحق . فرحهم فى أن تكون دنياهم فى مرضاة ربهم وسرورهم فى طلب مغفرته ورضوانه . فرحهم فى إعانة مظلوم أو إغاثة مكلوم . فى تفريج كربة أو تيسير عسرة أو تحقيق نجدة . فرحهم فى حبهم لمعالى الأمور كما أحب الله . فرحهم فى كلمة بر وحديث صدق وتقديم نصح . فرحهم فى كل ما تحسن عاقبته ويرونه سبيلا لمرضاة ربهم والفوز برحمته . نسأل الله أن يجعلنا منهم بفضله ورحمته .

اما الذين يفرحون فى الأرض بغير الحق ـ ويصرون ويستكبرون ـ اولئك سينتهى فرحهم إلى حزن ومرحهم إلى دمار وخسران . وذاك ما انتهى إليه أمر إمامهم حين قال له قومه ﴿ **لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين** ﴾ فأصر على كبره وعتوه وكفره بنعمة ربه ولم يلق بَالاً لنصيحة قومه فكانت عاقبة أمره ﴿ **فخسفنا به وبداره الأرض** ﴾ . دُمّر بباطله وأخذ بكبره وعتوه وكفرانه بنعمة ربه .

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾

(الاحقاف : ٢٠)

ذاك جزاء الذين يستكبرون فى الأرض بغير الحق ويريدون العلو والفساد فى الأرض عذاب الهون جزاؤهم بما كانوا يستكبرون وبما كانوا يفسقون . أما الذين ينشدون الرفعة بالحق أو ينتصرون بعد ظلمهم فأولئك ما عليهم من سبيل :

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(الشورى : ٤٢)

ان طلب الرفعة بالحق تستنهض به الهمم وتقوى العزائم ويزداد به التنافس على البر والتسابق على الخير.

ومن طلب الفردوس الأعلى كف عن المنكرات وسارع إلى الخيرات وأصابها بسلامة قلبه وطهر سعيه ورحمة ربه. وفى ذلك ما فيه من أمن الناس وسلامهم وتوادهم وتعاطفهم.

وللجنة طلابها وللنار أصحابها وسعى هؤلاء غير سعى أولئك وفى الدنيا يكون عمل هؤلاء واولئك وسعى الاخرة لا ينفك عن الحق ولا يكون بغير حق فمن أرادها سعى لها سعيها ووفق إليه. ومن أراد العاجلة واطمأن بها وركن اليها قادته لغير حق ولم ينل منها الا ما قُدّر له. وصدق الله العظيم:

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾

(الاسراء: ١٨، ١٩)

والدنيا اذا أريدت وحدها طغى طلابها وسعوا فى الأرض بغير الحق والاخرة اذا أريدت بَرَّ أصحابها وحكموا بين الناس بالحق. ودنيا الناس هى التى تسعد بهؤلاء وتشقى باولئك. والآخرة هى الجزاء لما يقع فى دنيا الناس من حق أو باطل. فأنعم بدينٍ يجعل الجزاء على عمل الخير فى الدنيا خيراً والجزاء على عمل الشر فيها شرا. فان فى ذلك من الحث على الخير والزجر عن الشر ما فيه:

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ

﴿ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (النازعات : ٣٧-٤١)

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة : ٧، ٨)

opeikandl.com